

الرجل بين مركزية المرأة وعممة الهامش "قراءة في رواية قليل من العيب يكفي" لزهرة ديك

الأستاذ الدكتور: مفقودة صالح

الدكتورة : هنية مشقوق

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة بسكرة- (الجزائر)

Résumé :

Cet article vise à tenir compte du roman féminin qui à essayé d'examiner l'historique de l'héritage de l'autre masculin qui est l'homme et recherche dans sa mémoire collective héroïque qui a resté pendant des siècles le pouvoir dominant et central de la vie familiale et sociale mais de l'autre coté on remarque qu'avec l'écriture expressive et l'espace d'imagination que la femme bescule sa valeur et occupe les meilleurs fonction et joue les rôles capitaux dans la société et tout cela devant la décadence de la valeur de l'homme qui perd toute ses qualités et reste sans identité soit sur le plan psychique social ou humain.

ملخص:

هذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على الرواية النسوية التي حاولت مراجعة الإرث التاريخي الذكوري والنبش في ذاكرته الفحولية التي طالما امتازت بالسلطة والمركز، فبقلم نسوي كان السرد المعبر الوحيد وكان المتخيل الفضاء الأنسب لتغيير المواقع وقلب الموازين والأدوار، لتحتل المرأة دائرة المركز بأساليب الرجل، ويأخذ هو دائرة الهامش التي أفقدته هويته، وجعلته مغتربا نفسيا واجتماعيا وأسريا في رواية "قليل من العيب يكفي" ل: زهرة ديك.

تقديم:

طالما حدثنا الصوت النسوي عن دونية المرأة في وعي الآخر، باعتباره الأقوى والأقدر الذي احتل دائرة المركز فيما كان لها دائرة الهامش التي حاولت الخروج منها عن طريق إبداعها والتكلم باسم النساء جميعا من أجل إعتاقهن من تلك الدائرة المغلقة، ففي عالم تتقاسمه مع الرجل واقعا ومنتخليا راحت تستكشف وتنبش في ذاكرته من أجل إعادة الاعتبار للجسد والهوية.

أرادت المرأة من خلال كتاباتها التسلق إلى المركز والامتثال بالآخر، وأخذ دائرته، وممارسة أفعاله التي لم تتوان في هضم حقوقها وإذلالها ووأد معنوياتها، وتعنيفها قصد (تفزييم الذات الأثوية التي تخجل أمام مصطلحات الجنس على اعتبار أنها مجرد وعاء للذة الجسدية التي يلوكمها الرجال، وهذا ما يدخل في العنف النفسي والحرمان). (1)

لهذا انصبت جميع جهودها على خلق مسار جديد مغاير وغير معهود في ذاكرة الرجل، وعليه فقراءتنا ستكون حول الرؤية الجديدة التي رسمتها الكاتبة زهرة ديك في روايتها " قليل من العيب يكفي"، والمتمثلة في الوقوف على معالم الذات الذكورية وهي تصارع انحاء أسطورة الفحل واستلابها بالقوة من طرف المرأة.

أولا- الرجل المقهور:

نماذج كثيرة للسلطة القاهرة في الرواية النسوية، منها ما تعلق بالمؤسسة الزوجية التي لم تخلف وراءها سوى ركام من القهر والحرمان، والعنف الجسدي والنفسي، ومنها ما تعلق بالمؤسسة الأسرية (الأب، الأخ، العم) التي أغدقت سلطتها، وأنانيتها، أين تضخمت سلطة الأنا فيها، من أجل انتهاك جسدها، ظنا منها أنه الأسلوب الأنجح لحماية القطيع من الإفلات؛ فالتعارف عليه دائما أن التذكير مرتبط بالفحولة، أما التأنيث فمرتبط بالدونية والهامش، ولعل هذا السبب هو ما جعل الصوت النسوي يعلو ليرصد واقع هذه المرأة لإثبات حضورها عن طريق إيجاد مساحة تفاعل بينها وبين المجتمع؛ تنتقل عبرها من الهامش إلى المركز، وبذلك تغادر تلك الصورة النمطية الجاهزة المبنية على التسلط الذي يرى المرأة

(موضوعا للطعام والجنس والبطالة)(2)، إنها تبحث عن ذاتها الضائعة التي أراد لها المركز التواري خلف الأسوار.

وقد سعت الكاتبة إلى نسج عالم روائي مكثف بالأنماط والناذج، لتعكس صورا للمرأة المقهورة والنمطية، والمتضررة من المجتمع الذكوري المحمل بالمتوارث من العادات والتقاليد، والمبني على مركزية الذكورة التي قامت على مبدأ التفاضل بين الجنسين مستندة في دعواها إلى قيم دينية واجتماعية (تفضيل الذكورة على الأنوثة لا يعود إلى الطبيعة، وإنما إلى الثقافة والقيم الاجتماعية) (3)، وذلك من أجل فضح وتعرية الوجه الآخر له، ولكننا لم نواجه قلما نسويا، يقلب الموازين ويكسر تلك القاعدة - قهر المرأة واختزالها في مرتبة الدونية -، ليتحصن بكثير من قيم المجتمع الذكوري، بهدف ممارسة فعل القهر عليه بأساليبه القمعية التي كثيرا مامورست عليها، وهكذا تحتل المرأة دائرة المركز التي تمتتها وحلمت بالاستلاء عليها والأخذ بمقاييسه وأفعاله لتهميشه، وتقزيم مكانته التي صنعها، إنها الكاتبة "زهرة ديك" في روايتها "قليل من العيب يكفي".

هي رواية طافحة بالألم والاعتراب الاجتماعي المبني على الانفصال والكسر؛ انفصال المرأة وكسرها لمنظومة القيم الذكورية المهيمنة على المجتمع والإبداع، ثم تسليح وعيها في مؤسسات المجتمع المختلفة وفي الثقافة والإبداع تحديدا، بوعي جديد يمتلك حراكا جديدا لامرأة جديدة تمتلك عالما جديدا تهمين عليه، وتعيد تشكيله بطريقة وأسلوب الرجل، فكان هذا العالم هو عالم الكتابة مسكونا بجنسوية العلاقة التضادية والانتقامية من الرجل، بوصفه ذكرا قمعيا تجاه امرأة تمثل كبش الفداء في المجتمع(4)، لكن الخبر النسوي نسج خيوطه العنكبوتية هذه المرة لتصبح المرأة هي القامعة والقاهرة مقابل الرجل المقهور الذي جسد كبش الفداء، فلم تشفع له تلك الفروسية التي امتطأها هذه المدة الزمنية .

يظهر الامتثال بالآخر فعليا، فبعد أن كان مجرد أحلام وأمنيات في روايات " فضيلة الفاروق " (لو كنت رجل كنت الصبي ذي الظفائر، قصصت شعري؛ ها هو يظهر في " رواية " قليل من العيب يكفي" في صورة المرأة المسترجلة القوية التي استطاعت التعدي على زوجها وتعنيفه؛ الأمر الذي يكشف عن (تشظ في المكون النسوي داخل بعض البنات السردية)(5)، التي تكشف عن صراع حقيقي بين رجل متسلب ومعتف،

وممش وامرأة امتطت الدور الذكوري التقليدي في قمعها لزوجها، ليتحول إلى كائن هش محطم بفعل تجريده من رجولته (حجمه الدائم مع زوجته المسترجلة المتسلطة، وضعفه أمامها وخنوعه الأنثوي)(6)؛ فالمعادلة هي تذكير للأنثوية، وتأييد للذكورة وجعلها في المستوى الذي طالما عانت منه المرأة، وأرادت من خلاله إيجاد ذات بديلة بعدما استحوذ الرجل والمجتمع على ذاتها .

ثانيا- البيت فضاء للسلطة النسوية :

كيف عبرت هذه الرواية عن العلاقة الاستلابية في سياق امتطاء المرأة النقيض تلك الأدوار الذكورية؛ حيث أصبحت حارسة القيم الذكورية الاجتماعية في الأسرة، وتنوع اضطرادها لزوجها في المكان الذي طالما اختاره الرجل لنفسه من أجل إعلاء صوته، وممارسة كل أشكال السيطرة على المرأة -إنه البيت- الذي أصبح يعبر عن حالة الإقصاء التي يتعرض لها الزوج، بوصفه الفضاء الأنسب لرد الاعتبار وإشعاره بشتى ألوان العبودية والوحشية التي عانت منها، ولأن المكان «لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر الشخصية تعيش فيه وتخرقه، وليس لديه استقلال ازاء الشخص الذي يندرج فيه»(7)، ظهر فضاء البيت مسرحاً للزوجة -مريم-؛ أو العسكرية المسترجلة كما يصفها زوجها "دابو"، لممارسة سلطتها؛ وتحقيق غايتها في تعنيفه، وعلى هذا الأساس يتحول البيت من كونه (سكنا يحتوي المنتمين إليه إلى منفى، أو قلعة نائية بفعل إسقاط الحالة النفسية)(8) لشخصية الزوج، الذي أخذت هزائمه تتفاقم كل مرة وتكبر فجيعة في علاقته السلبية بزوجته المسترجلة؛ أين يظهر الاعتراض الاجتماعي القائم على العلاقة اللاإنسانية بين الزوجين؛ بالإضافة إلى التمرد وكسر المتوارث من العادات والتقاليد .

إننا أمام السلطة المعتقة في شكلها الجديد/المرأة، مقابل الذكورة المعطوية نفسيا وجسديا؛ فالقارئ لهذا المقطع يدرك تماما العنف الذي يتعرض له "دابو" من قبل زوجته، وفي مؤسسته الخاصة (مرات عديدة يأتي إلى الجريدة متورم العينين من شدة البكاء ليلا أو بفعل لكيات أهدتها له زوجته، لسبب أو لآخر، أما إذا دخل الجريدة بمندبل صغير حول رقبتة، فهذا يعني أنه تعرض البارحة لهجوم شرس شنته عليه زوجته مستعملة أظافرها وأسنانها أحيانا تنتشر الخدوشات على وجهه ويديه، وإذا ما سأله أحدهم ما بك؟

يجب إجابته الجاهزة والتي أصبح الجميع يعرفها... ابنتي ياسمين، عندما كنت ألعابها فعلت بي ذلك الحلوفة، ثم يطلق ضحكته المقهورة ويسارع لتغيير الموضوع(9)، ولأن "دابو" ضعيف" فهو لا يمتلك حيلة ولا قوة لمواجهة جبروت زوجته، ولا يجد وسيلة لتبرئة نفسه أمام التهم الموجهة إليه من قبل زملائه في العمل بسبب (الندوب، الخدوش، والتورم) التي حفرتها حول رقبتة ووجهه؛ إلا الكذب كإجابة جاهزة والضحكة المقهورة .

هكذا أصبح "دابو" يجيأ حياة الإهانة والإذلال من قبل زوجته المسترجلة، لتظهر بمظهر الصفات الشريرة لدى زوجها، ولدى المتلقى الذي يحتزلها في امرأة بلا عواطف تتقن الضرب والصرخ والشتم، ومن ثم فإن علاقتها به لا تتجاوز كونها صاحبة سلطة مهيمنة وجبروت يحاول "دابو" تحاشيه والاكتماء بالرضى والقبول لواقعه فهو) شخص يجب اضطرابه النفسي، ويعيشه بمنتهى القبول، والتوازن (10)؛ بل يجب اضطهاد زوجته له ويتلذذ بتعنيفها، لأن ذلك يجعله قويا أمام زميلته "سكينة" التي أحباها (يجد في وضعه المهين والمذل مع زوجته دافعا لتوليد شعوره بالفرح واللذة، أحيانا يجب اضطهاد زوجته له، يستلذ عذابها له) (11) ، فحالة الرضوخ والرضى تعدم كل بصيص للفحولة فيه.

أمام هذا الاحتقار الذي يتعرض له "دابو" في بيته يتساءل عن رجولته المعيبة؛ أين هي وسط كل هذا؛ هل اضمحلت هل تلاشت؟ فزوجته سممت حياته وأفقدته ذلك الشعور بالرجولة التي يحسها جميع الرجال (ماذا لو أتأكد من رحيل رجولتي إلى الأبد) (12) ، والسؤال نفسه يطرحه زملاؤه في العمل عن السبب الذي حوّل من رجل إلى لارجل (لا أحد يدرك ما جرى "لدابو" من عطب، ومن تحول إلى لا رجل مع زوجته) (13).

فكلما تذكر "دابو" حالته اجتاحتته مشاعر الإحباط واليأس، وأطبقت عليه مشاعر الاعتراب والدونية لأنه على وعي تام بأن ما يقوم به (مستنكر ومرفوض في عالم الرجال) (14) ، وفي ذلك تأكيد على الانفصال عن موروث المجتمع الثقافي، والعرفي/سيطرة الرجل على المرأة، وتراجع النظرة الإقصائية له، مما يؤكد وجود اغتراب عن القيم الاجتماعية والثقافية، " فدابو" لم يتمسك بهذه القيم بل كسرهما لصالح استمرار الزواج (إلا أن ذلك جعله على وعي تام وحققيقي بمعنى القهر باسم الزواج، والتحكم باسم الواجب والمسؤولية

(15)، فمع جفاف العاطفة بين الزوجين، وتحول البيت إلى حلبة مصارعة يعترف "دابو" بخطئه الجسيم بسبب استسلامه ورضوخه أمام أول هزة عنيفة يتعرض لها مع زوجته التي استغلت ذلك لصالحها، وأصبحت تشبه الدركي المسموم (كان خطي يوم استسلمت لجبروتها، وأخذت موقع المدافع، لو أني تفتنت لذلك من قبل عشر سنوات لو أخذت وقتها موضع الهجوم، والاقتضاض وإن بالكذب والمراوغة) (16).

إن الحالة التي آل إليها "دابو" اقتضت منه العودة إلى الماضي واسترجاع أسباب قهره وتأنيثه، واسترجال زوجته فقد كان الاستسلام هو السبب الأول والأخير لما آل إليه بين قوسين من الحشمة والعار أمام بني جنسه -الرجال-، وأمام العقلية المتوارثة في مجتمعه الذي اقتضى حصانة الرجل على المرأة وتعنيفها، ليصبح "دابو" نموذج وصورة للرجل المهزوم، المهتمش غير القادر على التغيير والمواجهة.

شكل البيت ضغطاً نفسياً عندما أصبحت الزوجة هي السيدة الحاكمة؛ مما أسفر عن شعور القهر والاعتراب النفسي الناجم عن الانفصال التباعدي إلى درجة التخلي عن مكانته المركزية في مملكته، فمع فقدان الإنسان لمركزه وهربه من ممارسة أساليبه وحقه فإنه يكتسب ذاتاً زائفة، وممارسة وهمية بها يتشياً....، وبهذا التشيؤ يفصل الإنسان عن ذاته وعن الآخرين، وهكذا يستحيل إلى إنسان مغترب (17)، وهنا تبدو الكارثة عند "دابو" لا بتعرضه للقهر وإنما في استسلامه وخنوعه، وعزوفه عن ممارسة مبدأ أحقية الذكورة على الأنوثة.

في ظل هذا النفور والعدائية الباعثة على الاعتراب الزوجي، قرر "دابو" البحث عن ذات بديلة للذات الأنثوية التي اجتاحتها، ذاتا يفك بها خوفه وأسرته من قبضة زوجته المسترجلة.

ولكي يخلص نفسه المتضررة من التهميش والعنف لم يجد حلاً إلا بالدخول إلى عالم الأوساخ لأن الصورة الجديدة التي اختارها لنفسه؛ هي أن يتحول إلى شخص تفوح منه رائحة العفن والقمامة التي لا يمكن لأحد أن يقترب منها لفرط رائحتها الكريهة، وهو بهذا الفعل يهتمش نفسه ويخس قيمته.

تغدو رائحة القمامة ومنظرها أفضل بكثير من منظر تلك المرأة التي استولت على جنسه، وسطت على رجولته ورمت إليه أنوثتها، فلا غرابة إذن أن يبذل كل ما في وسعه للتخلص من الجنس البديل الذي أثقل كاهله وحطم كبريائه، فكان الحل الأنسب هو عالم القمامة (سأسلط عليها جسدي برأحتي...سأجعلها تقرف حياتها...وسوف أتوقف عن الاستحمام لأيام...بل أشهر حتى تكره التقرب مني، أو توجيه أي كلمة لي أو تكليفي بأي عمل، قرر "دابو" تنفيذ ذلك، وإن تطلب الأمر أن يبيت في غرفة الجلوس، ما أحلى السرير بلا تلك "الغولة" (18) .

فالوسخ عند "دابو" المغترب نفسيا وجنسيا، والمنفصل عن بني جنسه يوازي الوسخ الذي يعاينه من الداخل الناتج عن الهامشية والانسحاق، والضعف الذي يعاينه أمام غطرستها، وجبروتها لدرجة لا يقوى أمامها حتى على التفكير في هجرها، والفرار بجلده(19)، لكنه استفاد من الحل الذي اتخذ لنفسه؛ حيث بدأت زوجته في النفور، والتقرز من رأخته المقرفة (زوجته لم تعد تحتمل وجوده معها في غرفة واحدة ومنعته من الاقتراب منها بوسخه) (20) .

إن عالم الانسحاق والقدارة كان وسيلة "دابو" للتنكر من أجل رد اعتباره ومقاومة زوجته، ومقاومة ذلك الشعور بالتمزق بين الذات المزيفة حاضرا -الأثوية- والذات الحقيقية الجوهرية -الذكورية- ماضيا(21)، و الاستفادة من بعض الراحة والسلام الزوجي؛ إن لم نقل الشعور ببعض الراحة والطمانينة النفسية والجسدية . وإذا كانت رغبة المغترب الرئيسة، كما أكد كولن ولسن هي (أن يكف عن الشعور بكونه لا منتميا)(22)، فقد اختار "دابو" لحرق تلك المسافة التي تفصل بينه وبين انتائه الأصلي - رجولته- البوح؛ هذه التقنية المناسبة للإفصاح عما يختلج الذات من هموم وشعور بالنقص والدونية، هذا الشعور البغيض الذي لم يستطع "دابو" التخلص منه .

استخدم "دابو" هذه التقنية للاعتداد بنفسه والشعور برجولته المحطمة، ولو مؤقتا؛ فكانت زميلته "سكينة" هي الوعاء الذي يصب فيه جام غضبه من زوجته، وخوفه من تلاشي رجولته إلى الأبد، مع سكينة يشعر بانفصال كلي عن كدره، اليوم معها تحضره كل رجولته، معها يكون رجلا كما لم يكن (...). لا يمكنني في يوم من الأيام أن أقابل امرأة

كهده سيطرة على عجزى باعثة الحياة في فحولتي إلى شق تلك الزوجة(23).
لكن "دابو" لم ينعم بذلك لأن سكينته قررت الزواج ليجد نفسه يصارع الأمواج العاتية ويعود إلى أرض شقائه وغربته، ويفقد الأمل كلياً في عودة -رجولته- (كانت الدواء الشافي الذي يخرج من حالة القهر، إلى حالة الأمل والفرح...كان يخرج من جلساتها معاني مكتمل القوة والوجود والذكرة) (24).

هكذا عاد "دابو" إلى تلك الغمامة والقمامة ليقيم أول تصالح مع أنوثته وتشبيته، بعد أن فقد الصدر الدافئ والحنون -سكينته- التي اختارت حياتها بعيداً عن قرفه وهوموم، مما يؤكد عودة المكبوت الأثوي داخل الجسد الذكوري "دابو" الذي أصبح مقموماً مممشاً مغترباً نفسياً وجسدياً، منفصلاً عن موروث مجتمعه الذكوري والثقافي .

لقد أرادت الكاتبة بهذه الصورة الجديدة للرجل المعثف المستسلم أن تحسسه وتحسس بني جنسه بالمعاناة التي تحيها المرأة، والتمهيش الذي تتعرض له باسم الدين، وباسم العادات والتقاليد التي مازالت حاضرة رغم التقدم المدني للمجتمع، والوعي الذكي على وجه الخصوص (أصبح "دابو" على وعي تام، وواضح، ومباشر لما يمكن أن تشعر به امرأة واقعة تحت قهر رجل، وعلى علم بأن الرجل في الغالب لا يعرف شيئاً في حياته مثلما يعرف تغريب جسد المرأة...وهذا التغريب يتم طبعاً تحت غطاء الزواج والعلاقة الشرعية التي تُبيح كل أنواع ودرجات الاستبداد) (25).

كما أرادت الكاتبة "زهرة ديك" مساءلة المجتمع الذكوري، والبحث في مغاليقه من أجل إدانته بأسلوبه، وفسح المجال للذات الأثوية لكسر وتجاوز الأنساق الثقافية وتحديها بإطلاق صراح صوت الأنا، وإعطائه حضوراً مركزياً ضمن خطاب مؤنث، لكن وفق خصوصية ومتطلبات الرجل الذي أصبح في المرتبة الثانية، وهكذا تصبح الورقة الراجعة في يد المرأة تلك الورقة التي كثيراً ما استخدمها ليتمشها؛ فالذي يطالع الرواية يدرك أن ثمة من الرجال من تحيلهم النساء إلى نساء من الدرجة الثانية(26)، ليظهر "دابو" على درجة عالية من الجبن والذل والسلبية .

يقدم السرد ظاهرة العنف ضد الرجل التي لم تتناولها رواية من قبل ذكورية كانت أم نسوية -جزائرية-؛ فقد عودنا السرد النسوي بمشاهدة ألوان العنف الجسدي والنفسي

واللفظي على المرأة من قبل الرجل (أخ، زوج، أب)، لكن المعادلة انقلبت لنجد أنفسنا أما الرجل المُعتَف من قبل المرأة الزوجة؛ الرجل الذي لم يستطع حماية نفسه بمركزه وقوته؛ بل فضّل الاستسلام والتعايش مع وضعه لدرجة التاهي والانحواء .

كما استطاعت الكاتبة ضمن خطابها ورؤيتها الجديدة كسر الهاجس الذكوري الموهوس بتفوق الرجل وقوته، مقابل دونية المرأة أن تنسج لنا صورة أخرى لشخصية ذكورية؛ إنه "بهتة البوهالي" لكن هذه المرة بمميزات مغايرة أرادت من خلالها الدخول إلى عالم الرجل من زاوية أخرى زاوية الشهوة والمتعة، فبعد أن كان الرجل مصدرا للقوة والفحولة والرغبة الجامحة لامتلاك جسد المرأة، ها هو يتحول في هذه الرواية إلى رجل المهانة والضعف؛ الرجل الرقيق الشعور المهرف الحس، بعد أن استولت المرأة -الزوجة- على قوته وجموحه لتصبح المرأة القوية برغبة محمومة تعكس توق الجسد إلى المتعة بالغضب والعنف، للتخلص من كل أشكال القهر التي طالما مورست على جسدها، سواء بالفعل أو باللغة التي أسهمت بدورها في هذا القهر، وقد أكد "جورج طرايشي" ذلك بقوله إنها (لا) تكنفي بأن تظلم المرأة ضمينا، عندما تشترط تذكير الفعل متى وجد فاعل مذكر، في مقابل عدد لا متناه من الفواعل المؤنثة؛ بل إنها تتجاوز ذلك إلى شحن المفردات الدالة على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة بمنطوقات الثنائية المذكورة، فجميع الألفاظ التي تدل على الجماع في اللغة العربية، تُم عن علاقة قوة وسيطرة؛ فالرجل هو الذي يأتي المرأة، ولهذا يقال غشيا، وطئها... (27) .

في إطار العلاقة الزوجية بين المرأة والرجل، يظهر "بهتة" الزوج المغلوب على أمره الذي تعرض للعنف الزوجي والجنسي على وجه التحديد من قبل زوجته، التي لم يكن يرغب فيها لأنه لا يحبها ويمنى زوال العلاقة بينهما؛ إنه يشعر بالاغتراب النفسي إزاء العلاقة المشوهة والمعطوبة المفرغة من كل إحساس جميل .

يعترف "بهتة" بخوفه وضعفه وموت رجولته أمام رغبة زوجته الملحة أو اللحوح كما يصفها (مرة نظرت إلي وهي متشبثة بحافة السرير -فارتبك جسدي لمأى السرير وإصرار جسدها، وقالت لي ما هذا البرد؟... انتابني شيء كالخوف كالجزع المبهم، وأنا أستشعر إلحاحها في نظراتها...تظاهرت بعدم فهم مرادها هرعت إلى قمرشة الكاوكاو

..الذي دسسته في جيب سترتي وانشغلت به غير مبالٍ لتأفها الذي كان يشق
البطانية...حاستها الجنسية أصبحت تثبط رغباتي (28) .

إنها موت الرغبة الذكورية التي طالما بنت مركزيتها وفحولتها أمام عجز المرأة وتبعيتها
وضعها، "بهته" يخاف استيقاظ رغبة زوجته التي لا يستطيع مقاومتها إلا بقرمشة
الكاوكاو لأنه يرى أن مثل هذه الممارسة لا تكون بدون حب لأن الحب يغذيها ويجعلها أكثر
حميمية ودفئا (أدوخ وأنا أقلب في دواخلي عن بقايا عاطفة ما، عن أشلاء حب ما، عن
أقراض غرام ما...لا أثر لأي شيء لا أثر حتى للأثر) (29) .

إن وضع "بهته" داخل بيته يعكس درجة العذاب والاعتراب التي يجياها؛ عذاب
تعكسه لحظات التلاشي والتشيؤ (لحظاتي معها أصبحت لا شية، تحولت فيها إلى كتلة ما
من شيء، كل ما فيّ كان يفر منها ويفر مني أجاهد للعثور على أقل إحساس بها ويّ)
(30) .

فكل ما يؤطر لحظات المتعة أصبح يدعو للاشمئزاز والنفور، فلا مجال للتصالح
بين الجسدين والرغبتين لتتحول حياة "بهته" إلى نقطة مفرغة من أي إحساس أو اتصال،
فهو لا يرى في زوجته إلا مزيدا من الرغبة الجنسية بالقوة والإلحاح، مقابل رجولته التي
تحولت إلى عجز ونفور (أنا لا أحب المرأة للصوص، اللوح،...المرأة التي ترفض عليك
جسدها...التي تنزل عليك شهوتها باسم الزواج والحق والشرع والواجب...لقد كانت
السبب في جمودي، ولم أعرف كيف ومتى دخلت في علاقة عدوانية مع جسدها) (31)،
لكن هذه النظرة طالما جسدها المتخيل السردى النسوي والذكوري على حد سواء، فكان
الرجل يرغب ويمارس بالقوة والغضب، وكانت المرأة ترفض في قهر وصمت وبكاء .

إنه اعتراب تجسده حالة الانفصال القائم بين الزوج وزوجته بسبب انعدام التوافق
والحب وإحلال النفور والعدوانية بينهما، إلى درجة أنه أصبح معطل الحواس في حضرتها،
فما عاد يفقه جنسها ولا جنسه (شيء ما عطل جسده، وصدم شهوته وجعله يشعر بمأزقية
وجودها في حياته وفي سريره) (32) ،إنه في حالة برود وموت سريري .

وبين هذا وذاك ظل "بهته" المغترب أسريا وجنسيا يبحث عن خلاص عن منفذ
ينقذه من هذه المرأة، لأنه ما عاد يشعر بالاطمئنان في حضرتها، فكلما أوى إلى الفراش

أحس بالخوف والجزع من وجودها واختار الانطواء والتظاهر بالتعب (كم أكره نفسي...تعلمت كيف أمتص نفسي، وكيف أنكمش فوق السرير، وكيف أتظاهر بالتعب وبأكل الكاوكاو...ضاق البيت السجن الذي يجمعنا لدرجة أننا ما عدنا قادرين على اتخاذ أي وضعية فيه، أو فعل أي شيء أو قول أي كلمة) (33).

أمام المصير المفجوع وجد "بهته" نفسه يصارع الجسد الأثوي الممتلئ بالرغبة والشهوة، مقابل الجسد الذكوري المفرغ العاجز أمام هذه الرغبة المحمومة، فما كان له إلا الطلاق، والبقاء وحيدا في حضرة الأحلام والكوايس والجلسات الهديانية التي كان يقوم بها مع زميلته بدور في الحافلة ملجأ الوحيد .

إن قلب الكاتبة للأدوار جعل الخطاب الجنسي داخل النسق الأثوي، يقدم المرأة الراغبة في الرجل بالعنف والقوة والإرغام، والرجل الخانع الخائف؛ وفي ذلك (تهشيم لأنظمة التمرکز وآلياته التي دفعت بالرجل وثقافته إلى الأمام، وطمست دور المرأة) (34). هكذا عملت الكاتبة على الحفر في تضاريس الذاكرة الذكورية، والنبش في ممتلكات الرجل وإرثه التاريخي، من أجل وضعه موضع التبعية والدونية التي عانت منها المرأة كثيرا، وفي هذا خلخلة للهوية التي طالما اعتر بها، وخلق نوعا من الخوف والقلق إزاءها، فالرواية بأكملها انعكاس لجسد ذكوري مكبوت يعيش قهرا وتشوها داخل المؤسسة الزوجية التي أصبح فيها مغتربا عن دوره الرئيس .

يتحول خطاب الكاتبة "زهرة ديك" في روايتها ويحيد عن سابقه في عرض صور للمرأة النمطية والمقهورة والمتمردة في صمت، والباحثة عن الهوية المفقودة وإثبات الوجود، إلى رغبة في عرض نموذج جديد قائم على قلب الأدوار واجتياز تلك الصور المعهودة ليصبح الرجل هامشا وهشيا، مقهورا في حضرة المرأة المركز.

الهوامش والمراجع والمصادر :

1. ليندا عبد الرحمن عبيد: تمثيلات الأب في الرواية النسوية، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 49.
2. سوسن ناجي رضوان: الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي العربي المعاصر دراسات نقدية، المجلس الأعلى للقاهرة، دط، 2004، ص 61.
3. عبد الله ابراهيم: السرد النسوي الثقافة الأبوية الهوية الأثنوية والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 2011، ص 216.
4. ينظر: حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2013، ص 107.
5. ينظر: المرجع نفسه، ص 107.
6. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، دار بغدادى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، ص 1، 20.
7. حسن مجراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، دط، 1992، ص 32.
8. ينظر: أميرة علي الزهراني، الذات في مواجهة العالم، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 145.
9. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 22.
10. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 34.
11. المصدر نفسه، ص 158.
12. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 159.
13. المصدر نفسه، ص 190.
14. المصدر نفسه، ص 193.
15. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 193.

16. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 193.
17. ينظر: فيصل عباس، الاعتزاز والإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2008، ص 288.
18. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 108.
19. المصدر نفسه، ص 153.
20. المصدر نفسه، ص 108.
21. ينظر: أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم، ص 102.
22. كولن ولسن اللامنتي، دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين ، تر: أنيس زكي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط3، 1982، ص 124.
23. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 158، 159.
24. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 308.
25. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 114.
26. المصدر نفسه ص 21.
27. جورج طرايشي: شرق غرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرؤية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1997، ص 8.
28. زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، ص 35.
29. المصدر نفسه، ص 34.
30. المصدر نفسه، ص 34.
31. المصدر نفسه ص 35.
32. المصدر نفسه، ص 33.
33. المصدر نفسه، ص 33.
34. المصدر نفسه، ص 35.
35. عبد الله إبراهيم: السرد النسوي، ص 216.